

دلالة أدوات الشرط

الدكتور إبراهيم البب *

غياث بابو **

(تاريخ الإيداع 17 / 8 / 2008. قبل للنشر في 13 / 11 / 2008)

□ الملخص □

يتناول هذا البحث البنية الدلالية لأدوات الشرط لدى النحويين والبلاغيين ، فبدأ بالإشارة إلى ما يوحيه مصطلح الشرط لدى اللغويين ، ثم تحدث عن أدوات الشرط الجازمة ، وبيّن الدور الدلالي الذي تقوم به كل أداة على حدة ، والدلالات التي تفرزها بمقتضى السياق اللغوي ، وبعد ذلك انتقل إلى أدوات الشرط غير الجازمة ، وبيّن دلالة كل أداة . ويهدف هذا البحث إلى استجلاء الفروق الدلالية بين أدوات الشرط من حيث الاستعمال اللغوي في التركيب الكلامي ، بحيث لو استعملت أداة مكان أخرى لتغيّر المعنى الدلالي لهذا التركيب .

الكلمات المفتاحية: الشرط ، الدلالة ، التركيب .

* أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية .
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية .

The Semantics of Conditional Articles

Dr. Ibraheem AL-Bib^{*}
Ghayyath Babou^{**}

(Received 17 / 8 / 2008. Accepted 13 / 11 / 2008)

□ ABSTRACT □

This research deals with the semantic structure of conditional articles as seen by grammarians and rhetorics. It starts with the use of the term as used by the linguists, and then it talks about the conditional articles. It shows the semantic role that each one play and the signification they produce in term of context. Then the paper explain the non-conditional articles. The aim of this research is explaining the semantic differences between the articles.

Key words: conditional , semantic, structure .

^{*} Associate professor: Department of Arabic , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University , Lattakia , Syria .

^{**} Postgraduate student, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University , Lattakia , Syria .

مقدمة:

إن التركيب الشرطي من الأساليب اللغوية المشهورة لدى النحويين ، والبلاغيين ، حيث تناولوا هذه الظاهرة، وأشاروا إلى أنها تتركب من ثلاثة عناصر رئيسة ، وهي أداة الشرط ، وفعل الشرط ، ثم الجواب ، فهذه الأركان الثلاثة لا غنى عنها في هذا التركيب ، ثم توسعوا في دراسة كل عنصر من عناصره ، وقد أشار مصطلح الشرط لدى النحويين إلى دلالات عدة وهي:

1- التعليق:

ذكر سيبويه هذا المعنى ، ورأى أن جواب الشرط ينجزم لأنه معلق بفعل الشرط أي (الأول) غير مستغن عنه ، وإنما انجزم هذا الجواب ، كما انجزم جواب (إن تأتني) بـ (إن تأتني) لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغن عنه ، إذا أرادوا الجزاء ، كما أن (إن تأتني) غير مستغنية عن (أتك)¹ .

وقد عبّر عن المصطلح نفسه عندما تحدّث عن (إذا) الفجائية الرابطة لجواب الشرط ، فمصطلح الشرط لديه هو التعليق : وسألت الخليل عن قوله جلّ وعزّ ﴿ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾² فقال : هذا كلام معلق بالكلام الأول ، كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول³ .

وأكد فكرة التعليق هذه أيضاً ابن يعيش ، وغيره من النحاة فـ (إن) الشرطية تدخل على جملتين فعليتين فتعلق إحداها بالأخرى ، وتربط كل واحدة منهما بصاحبتهما حتى لا تنفرد إحداها عن الأخرى ، وجعل الزركشي فكرة التعليق هي أصل الشرط والجزاء⁴ .

2- السببية والمسببية :

إن ما يجمع الشرط بالجزاء هو علاقة سببية ، فقد بيّن سيبويه أن أساس التعليق بين جملتي الشرط والجواب هو أساس سببي ممثلاً ذلك بدخول الفاء على خبر الاسم الموصول تشبيهاً له بالجزاء نحو : (الذي يأتيني فله درهمان) فإذا أدخل الفاء وإنما يجعل الإتيان سبب ذلك ، فهذا جزاء ، وإن لم يجزم⁵ .

وأصبح بعد ذلك هذا المصطلح أكثر وضوحاً ، إذ جمع بينه وبين التعليق ، فأدوات الشرط ، وهي كلم ، وُضِعَتْ لتعليق جملة بجملة ، وتكون الأولى سبباً ، والثانية متسبباً⁶ .

إلا أن علاقة السببية والمسببية ، وتعلق الثاني بالأول ليست شرطاً في التركيب الشرطي ، إذ إن هناك كثيراً من الأمثلة التي تدحض هذه العلاقة ، كقولك : مَنْ استحمَّ بالماء البارد احتقنت الحرارة باطن جسده ، فاحتقان الحرارة قد لا

¹ سيبويه . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . الكتاب ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ج3 ، ط6 ، عالم الكتب ، بيروت ، مطابع دار القلم بالقاهرة ، 1385-1966 ، ص93-94 .

² سورة الروم ، الآية : 36 .

³ سيبويه . الكتاب ، ج3 ، ص63-64 .

⁴ ابن يعيش . موفق الدين بن علي . شرح المفصل ، ج8 ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبّي ، القاهرة ، ص157 . الزركشي . بدر الدين محمد بن عبد الله . البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ج2 ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1376-1957 ، ص354 .

⁵ سيبويه . الكتاب ، ج3 ، ص102 .

⁶ أبو حيان . أثر الدين . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تح : د. مصطفى أحمد النحاس ، ج2 ، ط1 ، مطبعة المدني ، توزيع مكتبة الخانجي بمصر ، 1404 - 1984 ، ص157-158 .

يكون عن الاستحمام بالماء البارد ، فلا يكون الثاني مسبباً عن الأول ⁷ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ⁸ فلهاثُ الكلب ليس متوقفاً على الحمل عليه ، أو تركه ، فهو يلهث على كل حال فليس هناك علاقة سببية ومسببية ، وكذلك ليس لهاثُ الكلب متوقفاً على الحمل عليه ، والأمثلة في القرآن كثيرة .

3- الربط:

وهو الأساس الرئيس في التركيب الشرطي ، والربط في التركيب الشرطي يعتمد على أدوات الشرط ، أو غيرها كاللام الرابطة لجواب (لو ولولا) والفاء ، وإذا الفجائية ، فالجملتان تكاد تكونان متكككتين ، لولا أداة الشرط ، فحرف الشرط أتى لربط جملة بجملة ، جملة جواب الشرط بجملة فعل الشرط كقولك : (إِنْ يَقُمْ زَيْدٌ يَقَعْدُ عَمْرُو) وكان أصل الكلام : (يَقُومُ زَيْدٌ يَقَعْدُ عَمْرُو) ، فـ (يَقُومُ زَيْدٌ) ليس متصلاً بـ (يَقَعْدُ عَمْرُو) ، ولا منه في شيء ، فلما أدخلت (إِنْ) جعلت إحدى الجملتين شرطاً والأخرى جواباً ⁹ .

وهذه العلاقة القوية بين فعل الشرط وجوابه تربطها أداة الشرط ، وقد عبّر ابن يعيش عن هذا المصطلح بقوله : " قد تقدّم القول إِنْ (إِنْ) الشرطية تدخل على جملتين فعليتين ، فتعلق إحداها بالآخرى ، وتربط كل واحدة منهما بصاحبها ، حتى لا تنفرد إحداها عن الأخرى " ¹⁰ .

أهمية البحث وأهدافه:

اللغة العربية من أقدم اللغات الغارية في التاريخ ، وقد استطاعت أن تحافظ على معظم خصائصها الدلالية ، والأسلوبية ، وبما يلفت انتباه المتأمل أن هناك تراكييب تستحق الدراسة والاهتمام ، ومنها تركيب الشرط ، فأدواته لها دور كبير في إعطاء المعنى طاقة دلالية ، وتحويله من حال إلى حال بحيث لو وضعت أداة مكان أخرى لتغير المعنى المراد .

ونظراً لذلك حاولنا في هذا البحث جاهدين دراسة أدوات الشرط دراسة دلالية وتبيان أهميتها في الدرس اللغوي ، لما لهذا التركيب من الأهمية بمكان وخاصة بين النحويين والبلاغيين .

منهجية البحث:

إن طبيعة البحث جعلتني أحاول الجمع بين منهجين ، فاستعنت بالمنهج الاستقرائي الوصفي في البحث عن أدوات الشرط في الدرس اللغوي القديم من خلال آراء النحويين والبلاغيين ، وما جاؤوا به من شواهد لتأكيد فكرتهم ، وتعزيز مذهبهم ، ومن ثم استعنت بالمنهج التحليلي في البحث عن دلالة أدوات الشرط ، ومعناها الذي يرد ضمن سياق الكلام ؛ لأن السياق له دور كبير في تحديد معناها نحلل عناصر التركيب وصولاً إلى دلالتها وأغراضها .

1- دلالة أدوات الشرط الجازمة :

⁷ الزركشي . البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص355 .

⁸ سورة الأعراف ، الآية : 176 .

⁹ ابن السراج . أبو بكر . الأصول في النحو ، تح : عبد الحسين الفتلي ، ج1 ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1405-1985 ، ص43 .

¹⁰ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج8 ، ص157 .

تقسم أدوات الشرط الجازمة إلى حروف وأسماء ، فالحروف هي : (إِنْ وإِذَا) ، والأسماء هي : (مَنْ ، ما ، مهما ، أَيَّان ، متى ، أَيْ ، أين ، حيثما ، كيفما ، أي) ، وهذه الأدوات تدل على شيئين :
الأول : على الإبهام . والثاني : على العموم ¹¹ .

• إِنْ :

وهي أم حروف الجزاء مبهمة ، لا تستعمل إلا فيما كان مشكوكاً في وجوده ، ويقع بعدها الماضي والمضارع ، وحققها أن يليها المضارع ، كقولك : إِنْ تَجْتَهِدْ تَنْجُحْ ، وهي حرف دال على المستقبل ، فإن يليها الماضي فهو مؤول بالمستقبل ، نحو : (إِنْ قُمْتَ قُمْتُ) أي : (إِنْ تَقُمْ أَقُمْ) ، وذلك لأن (إِنْ) تفيد تعلق حصول الجزاء بحصول الشرط في المستقبل ¹² .

وقد يأتي الشرط مع (إِنْ) دالاً على الماضي ، وخصوصاً إذا وقع بعدها الفعل (كان) الذي تدل على الزمن الماضي المنقطع ، فيكون الشرط معها بمعنى فرض الوقوع ، في الماضي كقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ ¹³ فهذا التركيب لا يمكن الاستفادة منه على الاستقبال بل على الماضي ، ونقل عن ابن السراج أن هذا التركيب يفيد الاستقبال ، والتقدير عنده : (إِنْ أَكُنْ قُلْتُهُ) ونعته الرضي بظاهر الفساد ، لأن هذه الحكاية إنما تجري يوم القيامة ، وكون (عيسى) قائلاً ذلك ، أو غير قائل إنما هو في الدنيا ، ومثله قولك : إِنْ كُنْتُ أُعْطِيتِي أَمْسٍ ، فسوف أكافئك اليوم ، وقوله تعالى : (إِنْ كَانَ) ظاهر في الماضي ¹⁴ .

وذكر الكوفيون فيما نقل عنهم ، والهروي أنها تدل على الماضي فتقع موقع (إِذ) كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ¹⁵ ، وخالفهم الجمهور بأن الشرط في الآية جيء به للتهيج ، والإلهاب ، كقولك لابنك : (إِنْ كُنْتُ ابني فلا تفعل كذا) ¹⁶ .

وأصل استعمال (إِنْ) بالحقيقة اللغوية عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل ، وعدم الجزم أي الشك والتوهم ، في وقوعه في المستقبل ، فالأصل في (إِنْ) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه ، كقولك لصاحبك : (إِنْ تَكْرُمْنِي أَكْرَمُكَ) وأنت لا تقطع بأنه يكرمك ، ف (إِنْ) ههنا دخلت على المشكوك بوقوعه ، وقد تدخل على المعلوم وقوعه إلا أن العلم بوقوعه مبهم الزمان كقولك : (إِنْ مَاتَ زَيْدٌ فَافْعَلْ كَذَا) فالموت مجزوم بوقوعه إلا أن زمانه مبهم ¹⁷ .

¹¹ الرضي . شرح الرضي ، ج 4 ، ص 90 .

¹² سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 63 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 4 ، 8 ، 9 ، 41 ، 156 . النفاذاني . سعد الدين . شرح التلخيص ، ج 2 ، دار السرور ، بيروت ، لبنان ، ص 38 .

¹³ سورة المائدة ، الآية : 116 .

¹⁴ الأستراباذي . رضي الدين محمد بن علي . شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، ج 4 ، منشورات مؤسسة الصادق ، طهران ، جامعة قار يونس ، 1398-1978 ، ص 114-115 .

¹⁵ سورة المائدة ، الآية : 57 .

¹⁶ الأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 87 . وابن هشام . جمال الدين بن يوسف . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ، ط 3 ، 1392-1972 ، ص 39-40 .

¹⁷ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 4 . وأبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 549 . والنفاذاني . شرح التلخيص ، ج 2 ، ص 39 . والفزويني . محمد بن عبد الرحمن . الإيضاح في علوم البلاغة ، بتحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية ، بالجامع الأزهر ، ج 1 ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ص 88 .

وقد تقع (إن) موقع (إذا) فتدل على الجزم بوقوع الشرط لنكت منها ¹⁸ :

- إظهار الجهل أو الخوف ، وذلك إذا كان العبد يعرف أن سيده في الدار ، وقد أوصاه أن لا يعلم أحداً بوجوده فيها ، فيسأل العبد عن سيده هل هو في الدار ؟ فيتجاهل بالتعبير بـ (إن) خوفاً من سيده فيقول : (إن كان في الدار أخبرك) ويجب أن يقول : (إذا كان) ، لأن (إذا) للشرط المجزوم بوقوعه ، ووجود الأمير مجزوماً بوقوعه ، إلا أنه أوقع (إن) مكان (إذا) تجاهلاً وخوفاً .

- الدلالة على عدم جزم المخاطب بالشرط ، ولو جزم به المتكلم ، كقولك لمن يكذبك ، أي : لمن يشك في صدقك وينسبه كذباً : (إن صدقت فماذا تفعل) ، وهذا يعني أنك تجزم بشيء ، ولكن المخاطب الذي تخاطبه لا يجزم به فستعمل (إن) مكان (إذا) والأصل استعمال (إذا) في هذا التركيب .

- تنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى العلم : كقولك لمن يؤدي أباه : (إن كان أباك فلا تؤذِه) فلم المخاطب بأنه أبوه محقق ، ومقتضاه أنه لا يؤذيه ، لكنه لما أذاه نزله المتكلم منزلة الجاهل بالأبوة ، فعبر بـ (إن) لأجل أن يجري الكلام على سنن اعتقاده تنزيلاً .

- المحال المقطوع بعدم وقوعه ، وتستعمل فيه (إن) لتنزيله منزلة ما لا قطع بعدمه ، على سبيل المساهلة ، وإرخاء العنان لقصد التبكيت ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ ¹⁹ ، وأجازه أبو حيان فعلق مستحياً على مستحيل ²⁰ .

- التوبيخ على فعل الشرط ، وتصوير أن المقام لا يصح إلا لفرضه كما يفرض المحال كقوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ ²¹ ، فيمن قرأ بكسر همزة (إن) لقصد التوبيخ ، والتجهيل في ارتكاب الإسراف ، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء ، حقيق أن لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض .

- التوبيخ أو التغليب : كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ ²² فال مقام يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتغال المقام على ما يقلعها عن أصلها ، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين منهم على المرتابين ، فإنه كان فيهم من يعرف الحق ، وإنما ينكر عناداً ، ومنهم المؤمن غير المرتاب فغلب غير المرتابين على المرتابين ²³ .

● إنما :

وأصلها (إذ) الدالة على الماضي ، ركبت معها (ما) ، وبالتركيب أصبحت أداة غيرهما قبل التركيب ، فنقلت دلالتها من الماضي إلى المستقبل ، ومن ثم كُفَّت (ما) (إذ) عن الإضافة كي تعمل الجزم ، وهي حرف شرط جازم دال على الإبهام والعموم في المستقبل ، وقد ذكر السكاكي أن (إذ) في

¹⁸ القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص90-91 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج2 ، ص43-47 .

¹⁹ سورة الزخرف ، الآية : 81 .

²⁰ القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص90-91 . والتفتازاني . شروح التلخيص ، ج2 ، ص43-47 . وأبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج2 ، ص238 .

²¹ سورة الزخرف ، الآية : 5 .

²² سورة البقرة ، الآية : 23 .

²³ القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج1 ، ص90-91 . والسكاكي . أبو يعقوب ، يوسف بن علي ابن أبي بكر . مفتاح العلوم ، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه : نعيم زرزور ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1407-1988 ، ص241-242 .

(إنما) مسلوب الدلالة على معناه الأصلي، وهو المضي منقول بإدخال (ما) إلى الدلالة على الاستقبال²⁴، فكفتها عن الإضافة، وأورثتها إبهاماً، فقوي شبهها بـ (إن) في الاستقبال. ومن شواهد (إنما) قول العباس بن مرداس²⁵ :
إِذَا أَتَيْتَ عَلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُ حَقّاً عَلَيْكَ إِذَا إِطْمَأَنَّ الْمَجْلِسُ

وقد دخلت (إنما) ههنا على الماضي، وهو مؤول بالمستقبل، لأن (إذ) وإن دلت على المضي إلا أنها قد تدل على المستقبل كقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾²⁶، وهذا الأمر لا يكون إلا في المستقبل يوم القيامة، وقد دخلت على الماضي، ويدخل (ما) على (إذ) جعلتها شرطية جازمة مبهمة، وهي عند سيبويه حرف أصله (إذ) الظرفية، ركبت مع (ما) فأصبحت بالتركيب حرفاً واحداً، وعند المبرد وابن السراج، والفارسي باقية على اسميتها²⁷.
● مَنْ :

وتدل (مَنْ) على عموم أولي العلم من ملك وإنسان وغيرهما، وأشار ابن يعيش إلى أن العاقل يشمل : الإنسان والملائكة والشيطان وهي مبهمة، وعملت الجزم لتضمنها معنى (إن) التي هي للإبهام، فجعل العموم في أسماء الشرط كاحتمال الوجود والعدم في الشرط، تقول : من يضربك أضربه²⁸، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلٌ ﴾²⁹.
● ما :

وهي لتعميم الأشياء، وتستعمل اسم شرط لغير العاقل، وهي مبهمة تقع على كل شيء لغير الآدميين، ولصفات الآدميين³⁰، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾³¹، وما : هذه شرطية لغير العاقل، وقد ذكر ابن هشام أن (ما) الشرطية تأتي لعموم الزمان، وأثبت ذلك الفارسي، وأبو البقاء، وابن مالك، ومثلوا له بقوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾³²، أي : استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم³³.
● مهما :

²⁴ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 243 . والتفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 . وابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 47 .
²⁵ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 57 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 47 . الأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 90 .
²⁶ سورة مريم ، الآية : 39 .
²⁷ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 56-57 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 46-47 . الأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 89-90 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 547 .
²⁸ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 59 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 42 . الأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 90-91 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 547 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 243 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 .
²⁹ سورة النساء ، الآية : 88 .
³⁰ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 56 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 42 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 547 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 243 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 .
³¹ سورة البقرة ، الآية : 197 .
³² سورة التوبة ، الآية : 7 .
³³ ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 398 .

تفيد تعميم الشرط لغير العاقل وهي مبهمة تقع على كل شيء ، وهي اسم ، بدليل عودة الضمير إليها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَخْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾³⁴ فالهاء في (به) عائدة على (مهما) ، واختلف في تركيبها ، فنقل سيبويه عن الخليل أنها مركبة من (ما) الشرطية ، و (م) الزائدة بعد أدوات الشرط ، فاستقبحوا أن يقولوا (ماما) فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى ، وجوز سيبويه أن تكون (مَهْ) ك (إِذْ) ضُمَّ إليها (ما) وعلى رأيه فهي حرف وقال قوم : هي مركبة من (مَهْ) بمعنى (اكفف) و (ما) فاللفظ على هذا لم يدخله تغيير لكنه مركب من كلمتين بقيتا على لفظهما³⁵ .

وذكر ابن مالك ، والرضي ، ورود (مهما) ظرف زمان ، نحو : مهما تجلس تجلس ، أي : ما تجلس من الزمان تجلس فيه ، وشدد الزمخشري الإنكار على مَنْ جعلها ظرف زمان ، وقال : هذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها مَنْ لا يدل له في علم العربية ، فيضعها في غير موضعها ، ويظنها بمعنى (متى) ويقول : (مهما جئتني أعطيتك) وهذا مِنْ وقعه ، وليس من كلام واضع العربية³⁶ .

• أَيْان ، متى :

وتستعملان في الشرط للدلالة على تعميم الزمان ، والأوقات في المستقبل ، كقولك : متى تذهب أذهب ، وكقول طرفه³⁷ :

مَتَى تَأْتِي أَصْبِحُكَ كَأْساً رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنَى فَاغْنِ وَازْدِدْ

ويقال : (متى ، ومتى ما) بزيادة (ما) فمتى : لتعميم الأوقات في الاستقبال ، أي : تدل على وقت من الأوقات المبهمة في الاستقبال بحسب الوضع ، و (متى ما) : أعم منها لأنها للدلالة على كل وقت من الأوقات المستقبلية³⁸ .

وأَيْان : لتعميم الأوقات ، وهي ظرف زمان مبني معناه (متى) ، وكان حقها أن تبنى على السكون لكن فتحت لالتقاء الساكنين ، وقيل : تستعمل في الأزمنة التي تقع فيها الأمور العظام ، ومواضع التفخيم³⁹ .

وذكر أبو حيان أن استعمالها في الشرط قليل ، وتجزم المضارعين ، والجزم بها محفوظ خلافاً لمن زعم أن الجزم بها غير محفوظ ، ولم يحفظ سيبويه الجزم بها⁴⁰ .

ومن الجزم بها في الشعر ، قول الشاعر أمية بن أبي عائذ⁴¹ :

³⁴ سورة الأعراف ، الآية : 132 .

³⁵ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 59-60 . وابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 42-43 . والأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 88-89 . وأبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 547 . والسكاكي . مفتاح العلوم ، ص 243-244 . والتفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 .

³⁶ ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 236 . والأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 89 . وأبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 548 . وابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 436-437 .

³⁷ البكري . طرفه بن العبد . ديوان طرفه ، شرح الأعلام الشنمري ، نح : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1395-1975 ، ص 29 .

³⁸ التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 243 .

³⁹ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 45 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 137 .

⁴⁰ ارتشاف الضرب : 548/2 .

إِذَا النُّجُجَةُ الْعَيْنَاءُ كَانَتْ بِقَفَرَةٍ فَأَيَّانَ مَا يُعْدَلُ بِهَا الرُّمُّ تَنْزِلِ

• أَيْ ، أَيْنَ ، حَيْثَمَا :

وتأتي هذه الأدوات شرطاً ، وتتضمن معنى (إِنْ) ، ونفيد الدلالة على عموم الأمكنة ، فـ (أَيْنَ ، وَحَيْثَمَا) اسمان من أسماء الأمكنة مبهمان يقعان على الجهات الست ، فيقال : (أَيْنَ تَكُنْ أَكُنْ) ، والمراد : إِنْ تَكُنْ فِي مَكَانٍ كَذَا أَكُنْ فِيهِ ، وكقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾⁴² ، وكقوله تعالى : ﴿ وَحَيْنَمَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾⁴³ ، وحَيْثَمَا لا تكون شرطاً حتى تتركب معها (مَا) وتصبحان كلمة واحدة .

أما (أَيْ) فتفيد دلالة زائدة على أختيها ، وهي تعميم الأحوال ، ومنه قول لبيد⁴⁴ :

فَأَصْبَحَتْ أَيْ تَأْتِيهَا تَلْتَسِ بِهَا كِلَا مَرْكَبَيْهَا تَحْتَ رِجْلِكَ شَاجِرُ

فهو يخاطب رجلاً قد وقع في معضلة ، وقضية صعبة ، فقال : كَيْفَ أَتَيْتَ هَذِهِ الْمَعْضِلَةَ مِنْ قَدَامٍ أَوْ مِنْ خَلْفٍ .

وقد اختلف في قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَيْ شِئْنُمْ ﴾⁴⁵ ، فـ (أَيْ شِئْنُمْ) يحتمل دلالات متعددة ، الأولى : بمعنى : كَيْفَ لَتَعْمِيمِ الْأَحْوَالِ ، أي : على أي حال شِئْنُمْ . الثانية : بمعنى (أَيْنَ) : للدلالة على المكان الذي حلَّ فيه الشيء . الثالثة : (مِنْ) ، (أَيْنَ) : سؤال عن المكان الذي برز منه الشيء . الرابعة : بمعنى (مَتَى) للدلالة على عموم الزمان . الخامسة : بمعنى (حَيْثُ) للدلالة على المكان ، وذهب الأكثرون إلى أنها شرطية⁴⁶ .

• كيفما :

وهي اسم يستكره به الشرط ، وضعت للدلالة على الحال ، فإذا أفادت الجزاء ، دلت على تعميم الأحوال ، ونقل سيبويه عن الخليل أنها ليست من حروف الجزاء ، ومخرجها على الجزاء ، لأن معناها : (على أي حال تَكُنْ أَكُنْ) ، ورأى ابن مالك أنه يجازى بها معنى لا عملاً خلافاً للكوفيين ، ولا يكون الفعلان معها إلا متفقين ، نحو : كَيْفَ تَجْلِسُ أَجْلِسُ⁴⁷ .

⁴¹ السكري ، الحسن بن الحسين . شرح أشعار الهذليين ، تح : عبد الستار أحمد فزّاج ، راجعه محمود محمد شاكر ، ج2 ، مطبعة المدني ، القاهرة 1384-1965 ، ص526 .

⁴² سورة البقرة ، الآية : 115 .

⁴³ سورة البقرة ، الآية : 144 ، 150 .

⁴⁴ العامري ، لبيد بن ربيعة . شرح ديوان لبيد ، حققه وقدم له : د. إحسان عباس ، منشورات وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت ، التراث العربي ، الكويت ، 1962 ، ص220 . وسيبويه . الكتاب ، ج7 ، ص58 .

⁴⁵ سورة البقرة ، الآية : 223 .

⁴⁶ السيوطي . جلال الدين . معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تح : علي محمد البجاوي ، القسم الأول ، دار الفكر العربي ، ص611 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص243 . التقطازاني . شروح التلخيص ، ج2 ، ص90 .

⁴⁷ سيبويه . الكتاب ، ج3 ، ص60 . ابن مالك . جمال الدين محمد بن مالك . تسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد ، تح : محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1387-1967 ، ص236 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج2 ، ص551 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص270-271 .

أما ابن هشام فقد ذكر أن (كيف) تكون شرطاً ، فتقتضي فعلين متقفي اللفظ والمعنى ، غير مجزومين عند البصريين نحو : كيف تصنع أصنع ، أما قطرب والكوفيون فإنهم أجازوا الجزم بها ، واشترط بعضهم للجزم بها اقترانها بـ (ما)⁴⁸ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾⁴⁹ .
فهذا دليل على أن (كيف) لا يجزم بها إلا على المعنى ، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله ، وإذا كان التقدير : كيف يشاء بصوركم في الأرحام فيشكل على إطلاقهم أن جوابها يجب مماثلته لشرطها .
• أي :

هو اسم شرط ، ويشترك مع (مَنْ و ما) فيكون اسم استفهام موصول ، إلا أنه بحسب ما يضاف إليه ، فيكون اسم شرط للعاقل ، ولغير العاقل ، ويضاف إلى الظرف فيكون اسم شرط من الظروف⁵⁰ . وهي معرفة عند النحويين ، ودلالاتها على تعميم ما تضاف إليه ، لأنها تصلح لجميع دلالات الشرط ، وهي اسم مبهم منكور ، وبعض ما تضاف إليه ، إن أضفتها إلى العاقل فهي لعموم العاقل كقوله تعالى : ﴿ أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾⁵¹ ، ونحو : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ إِلَيَّ أَحْسَنُ إِلَيْهِ ، ولغير العاقل نحو : أَيُّ دَابَّةٍ تَرْكَبُ أَرْكَبُ ، وإلى الزمان نحو : أَيَّ حِينٍ تَأْتِي أَشْكُرُكَ ، وإلى مكان نحو : أَيَّ جِهَةٍ تَجْلِسُ أَجْلِسُ مَعَكَ⁵² .

2- دلالة أدوات الشرط غير الجازمة :

تتركب أدوات الشرط غير الجازمة مع الجملة الفعلية الماضية فلا تقتضي جزماً ، لأنها غير مبهمة ، وتدل على الشيء المقطوع بوقوعه .

1- إذا :

وهي اسم شرط غير جازم ، لما يستقبل من الزمان ، تفيد الربط بين جملة الشرط وجوابه ، ولا يليها إلا فعل الشرط ظاهراً أو مقدراً ، ويبيّن اللغويون كالكسائي والقزويني أنها تأتي لدلالات منها :
-الدلالة على المستقبل المقطوع بوقوعه :

ذكر سيبويه أنها تدل على الزمن المستقبل المقطوع بوقوعه ، لأنها تدل على وقت معلوم ، وتضاف إلى ما بعدها لذلك لم تجزم ، فلو قلت : (آتِيكَ إِذَا احْمَرَ الْبُسْرُ) كان حسناً⁵³ ، وكقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فُضِّيتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾⁵⁴ ، فالصلاة لا بد في النهاية أن تنقضي ، والفعل معها متحقق الوقوع

⁴⁸ المغني : 270-271 .

⁴⁹ آل عمران : 6 .

⁵⁰ محسن ، إبراهيم . أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق ، (رسالة ماجستير بإشراف د. مصطفى جطل) ، 1406-1986 ، ص 17 .

⁵¹ سورة الإسراء ، الآية : 110 .

⁵² سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 79 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 44-45 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 550-551 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 244 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 90 .

⁵³ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 60 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 7 ، ص 46-47 ، 4/9 . الأسترابادي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 89 .

⁵⁴ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 241 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 39 . المرادي . الحسين بن القاسم . الجنى الداني في حروف المعاني ، تح : د. فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، ط 2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1393-1973 ، ص 367 .

⁵⁴ سورة الجمعة ، الآية : 10 .

، أي : مقطوع بوقوعه ، ويكثر استعمال لفظ الماضي على المستقبل في الاستعمال ، لكون الماضي أقرب إلى القطع من المستقبل في الجملة نظراً إلى اللفظ ⁵⁵ .

وقد فرق ابن يعيش بدقة بين (إن وإذا) فبين المعنى الدلالي لكلتا الأداتين ، ف (إن) لا تستعمل إلا في أمر مشكوك في وجوده في المستقبل ، لأن الأفعال المستقبلية قد توجد ، وقد لا توجد ، وعليه لا يجازى بـ (إذا) وإن كانت للاستقبال ، لأن الذاكر لها كالمعترف بوجود ذلك الأمر كقولك : (إذا طلعت الشمس فأنتي) فقولك : (إذا طلعت) فيه اعتراف بأنها ستطلع لا محالة ، وحق ما يجازى به أن لا تدري أيكون أم لا يكون ، وعليه تقول : (إذا احمرَّ البُسْرُ فأنتي) لأن احمرار البُسْرِ كائنٌ ، وتقول : (إذا أقام الله القيامة عَذَّبَ الْكَفَّارَ) ولا يحسن (إن أقام الله القيامة) لأنه يجعل ما أخبر الله تعالى بوجوده مشكوكاً فيه ⁵⁶ .

- الدلالة على المستقبل غير المقطوع بوقوعه :

إن الفرق الدلالي بين المقطوع بوقوعه ، وغير المقطوع بوقوعه ، أن الأول تستعمل فيه (إذا) فتدل على وقت معلوم ، حاصل الوقوع ، وأما غير المقطوع بوقوعه فتستعمل فيه (إن) لأنه أمر مشكوك فيه ، وقد يقع ، وقد لا يقع ، وعليه فقد تستعمل (إذا) في غير المقطوع بوقوعه ، لوقوعها موقع (إن) فتكون للشك ، كقول كعب بن زهير ⁵⁷ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْزِعْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا أَصَبْتَ خَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

فهو من مواقع (إن) لأنه يجوز أن ينزع عن ذلك ، وأن لا ينزع ⁵⁸ .

- الدلالة على الماضي :

ذكر ابن هشام في قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا ﴾ ⁵⁹ أن (إذا) فيه خرجت عن الاستقبال إلى الماضي ⁶⁰ .

- تأني (إذا) لما يقع كثيراً كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ ⁶¹ ، فإن قراءة القرآن كثيرة الوقوع ، لأن قراءة القرآن لا تفارق الإنسان كل يوم .

- لما كانت (إذا) تفيد الجزم بالوقوع ، غلب معها لفظ الماضي ، لكونه أدل على الوقوع باعتبار لفظه ، وقد تدخل على المضارع فيفيد معها تكرار الحدث واستمراره وتطاوله كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ ⁶² فالتلاوة تتطاول ، وهي تنقضي شيئاً فشيئاً فجاء بالفعل المضارع لما يحدث تدريجياً ويقع جزءاً جزءاً بخلاف الماضي ⁶³ .

⁵⁵ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 241 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 88 .

⁵⁶ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 4 .

⁵⁷ السكري ، الحسن بن الحسين . شرح ديوان كعب بن زهير ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1385-1965 . ابن يعيش .

شرح المفصل ، ج 9 ، ص 4 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 238 .

⁵⁸ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 4 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 238 .

⁵⁹ سورة التوبة ، الآية : 92 .

⁶⁰ ابن هشام . معني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 129 .

⁶¹ الأعراف : 204 .

⁶² يونس : 15 .

⁶³ السامرائي ، فاضل . معاني النحو ، ج 4 ، ط 2 ، 1423-2003 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص 67 .

2- لو : وهو من حروف الشرط غير الجازمة، يربط بين جملي الشرط والجواب، ويفيد ثلاثة معانٍ :
- الشرطية:

تدل (لو) على تعليق المتكلم في حال وقوع مضمون الجزء بوقوع مضمون الشرط ، فالجزء فيما مضى، بحيث يقع على تقدير وقوع الشرط ، فتقيد ذلك مع القطع بانتفاء الشرط كقولك : (لو جئتي لأكرمك) ، فهم من ذلك أن المجيء مستلزم للإكرام وشرط فيه ، وأنه على تقدير وقوعه ، يقع الإكرام ، والمجيء لم يقع فيلزم حيث كان المجيء شرطاً ، وانتفى انتفاء المشروط الذي هو الجزء ⁶⁴ .
- تقيد الشرط بالماضي :

ذكر السكاكي وغيره أن (لو) عندما كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على سبيل القطع ، كقولك : لو جئتي لأكرمك ، معلقاً لامتناع إكرامك بما امتنع من مجيء مخاطبك ، امتنعت جملتها عن الثبوت ، ولزم أن تكونا فعليتين ، والفعل ماضٍ ، ولهذا إذا أتى بعد (لو) المضارع أول بالماضي ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَأَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ ⁶⁵ لأن خاصية (لو) فرض ما ليس بواقع واقعاً ، والتقدير : (لو شئنا) على الماضي ، وخالف ذلك ابن مالك أن استعمالها في الماضي غالباً ⁶⁶ .

- الامتناع : (التعليق فيما مضى) :

وهذا المعنى عبّر عنه النحاة بتعابير مختلفة ، ومنها :

الأول : عبارة سيبويه أنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره ، يعني أنها تقتضي فعلاً ماضياً ، كان يُتوقع ثبوته لثبوت غيره ، والمتوقع غير واقع ، واختاره الشلوبيني ونعته ابن هشام بالعبارة الجيدة ⁶⁷ .

الثانية : عبارة الأكثرين : حرف امتناع لامتناع ، أي : امتناع جواب الشرط لامتناع فعل الشرط ، نحو : لو جئتي لأكرمك ، انتفى الإكرام لانتهاء المجيء ، وقد أبطله المرادي ، وابن هشام ، وذلك لأنها تقتضي كون جوابها ممتنعاً غير ثابت دائماً ، وذلك غير لازم ، لأن جوابها قد يكون ثابتاً في بعض المواضع كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ⁶⁸ .

فعدم النفاذ ثابت على تقدير كون ما في الأرض من الشجر أقلاماً ، مدادها البحر ، وسبعة أمثاله ، فثبوت عدم النفاذ على تقدير عدم ذلك ، ومنه قولهم : (لو كان هذا إنساناً لكان حيواناً) فإنسانيته محكوم بامتناعها ، وحيوانيته ثابتة ⁶⁹ .

⁶⁴ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 102 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 8 ، ص 156 ، ج 9 ، ص 2 . الأسترابادي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 451 . التفازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 35 ، 38 ، 69 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 547 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 337 ، 340 .

⁶⁵ سورة الأعراف ، الآية : 100 .

⁶⁶ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 8 ، ص 155 . الأسترابادي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 450-451 . ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 240 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 246 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 95 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 337 ، 348 . التفازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 35 ، 38 ، 69 .

⁶⁷ سيبويه . الكتاب ، ج 4 ، ص 224 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 275-276 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 342 . التفازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 69-70 .

⁶⁸ سورة لقمان ، الآية : 27 .

⁶⁹ الأسترابادي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 451-452 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 273-274 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 339 .

الثالثة : قول ابن مالك : لو : حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه ، واستلزامه لتاليه ، ورأى ابن هشام أن في هذا التعريف نقصاً ، لأنه لا يفيد أن اقتضاءه للامتناع في الماضي ، فإذا قيل : لو : حرف يقتضي في الماضي امتناع ما يليه ، واستلزامه لتاليه كان ذلك أجود العبارات ، وعد بعضهم تعريف ابن مالك متوسطاً بين قول الأكثرين ، وعبارة سيبويه ⁷⁰ .

الرابعة : مذهب ابن الحاجب ، وهو عكس مذهب الأكثرين ، أنها حرف لامتناع الشرط ، لامتناع الجزاء ، وذلك لأن الأول سبب ، والثاني : مسبب ، والمسبب يكون أعم من السبب ، ورأى الرضي أن فيه نظراً ، وخالفه في العلة ، لأن (لو) موضوعة بكون جزاؤها مقدّر الوجود في الماضي ، والمقدر وجوده في الماضي يكون ممتنعاً فيه ، فيمتنع الشرط الذي هو ملزوم لأجل امتناع لازمه ، أي الجزاء ، لأن الملزوم ينتقي بانتفاء لازمه ، وعده بعضهم فاسداً ⁷¹ .

الخامسة : أنها حرف شرط يقتضي ربط الجواب بالشرط ، لا يدل على امتناع ، ولا غيره ، بل على التعليق في الماضي ، وإليه ذهب الشلوبين ، وابن هشام الخضراوي ، ورده ابن هشام بكون الذي قالاه كإنكار الضروريات ، إذ فهم الامتناع منها كالبدهي ، فإن كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد ⁷² .
وخلص ابن هشام إلى أن (لو) تدل على ثلاثة أمور : عقد السببية والمسببية ، وكونهما في الماضي ، وامتناع السبب ⁷³ .

والماضي المركب مع (لو) يفرز دلالات عدة منها :

1- الدلالة على الزمن الماضي الحقيقي :

وهو الأصل في (لو) كأن الامتناع يناسبه الماضي ، فعندما علّق ابن هشام على قول ابن مالك زاد الماضي بقوله : فإذا قيل : لو : حرف يقتضي في الماضي امتناع ما يليه ، واستلزمه لتاليه ، وبهذا فارقت (إن) التي تدل على المستقبل ، وعند المحققين أنه لا يليها إلا الماضي معني ، وقد علل السكاكي كونها للماضي لأنها حين كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره على سبيل القطع كقولك : (لو جئتي لأكرمك) معلقاً لامتناع إكرامك بما امتنع من مجيء مخاطبك امتنعت جملتها عن الثبوت ، ولزم أن يكونا فعليتين ، والفعل ماضٍ ⁷⁴ .

2- الدلالة على المضي المراد به الاستمرار :

إذا ركبت (لو) مع المضارع كقوله تعالى : ﴿ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ ⁷⁵ فالمراد من المضارع ههنا المضي ، لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً ⁷⁶ .

⁷⁰ سيبويه . الكتاب ، ج 4 ، ص 224 . ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 240 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 275-276 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 342-343 . النفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 72 .

⁷¹ الأسترايازي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 451 . النفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 70 .

⁷² المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 276 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 337-338 . النفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 72 .

⁷³ ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 337 ، 340 .

⁷⁴ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 8 ، ص 155 . السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 246 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 95 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 571-572 .

⁷⁵ سورة الحجرات ، الآية : 7 .

3- تنزيل المضارع منزلة الماضي :

لصدوره عَمَّنْ لا خلاف في أخباره : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾⁷⁷ فنزل المضارع المستقبل منزلة الماضي في سلك المقطوع به ، لصدوره عَمَّنْ لا خلاف في أخباره ، والأصل : لو رأيت⁷⁸ .

4- الدلالة على عموم المستقبل :

ذكر النحاة أن (لو) تقع موقع (إن) فتفيد الاستقبال ، ويكون الشرط معها غير مقطوع بوقوعه ، فيأتي بعدها الماضي والمضارع ، فإذا أتى بعدها الماضي أحالته إلى الاستقبال كقوله تعالى : ﴿ وَلَيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾⁷⁹ إذ يستحيل أن يقال : لو شارفت فيما مضى أنك تخلف ذرية ضعافاً لخفت عليهم ، لكنك لم تشارف ذلك فيما مضى⁸⁰ .

ومن الشواهد التي أتى فيها المستقبل لفظاً ومعنى بعد (لو) قول أبي صخر الهذلي⁸¹ :
وَلَوْ تَلَقَّيْ أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رَمَسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَب

3- لولا ، لوما :

حرفان غير مختصين ، يدخلان على الفعلية والاسمية ، فإذا دخلا على الاسمية ، أصبحا حرف امتناع لوجود ، فيستعملان لربط الجملة الفعلية الثانية بالجملة الاسمية الأولى ، وذلك نحو قولك : (لولا زيد لأكرمتك ، ولوما خالداً لزرتك) ، فقد امتنع الإكرام والزيارة لوجود (زيد وخالداً) ، وقد اختلف في تقدير البنية العميقة لهذا التركيب ، فمذهب البصريين أن التقدير : (لولا زيد مانع لأكرمتك) على تقدير الجملة الاسمية ، ومذهب الكوفيين على تقدير الفعل ، أي : لولا منع زيد ، واستضعف لأن هذا الحرف غير مختص وقيل معناها : (لو لم يحضر)⁸².

وذكر المرادي نقلاً عن المالقي أربعة معانٍ دلالية لـ (لولا) وهي :

- 1- حرف امتناع لوجوب : إذا كانت الجملتان موجبتين نحو : (لولا زيد لأحسنْتُ إليك) .
- 2- حرف وجوب لامتناع : إذا كانتا منفيتين ، نحو : (لولا عدم قيام زيد لم أحسنْ إليك) .
- 3- حرف وجوب لوجوب : إذا كانتا موجبة ومنفية ، نحو : (لولا زيد لم أحسنْ إليك) .

⁷⁶ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 247 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 94 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 84-86 .

⁷⁷ سورة السجدة ، الآية : 12 .

⁷⁸ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 246 . القزويني . الإيضاح في علوم البلاغة ، ج 1 ، ص 95-96 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 84-86 .

⁷⁹ سورة النساء ، الآية : 9 .

⁸⁰ الأستراباذي . شرح الرضي على الكافية ، ج 4 ، ص 451 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 284-285 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 347-348 .

⁸¹ السكري . شرح أشعار الهذليين ، ج 2 ، ص 938 .

⁸² ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 8 ، ص 145-146 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 576 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 359-364 .

- 4- حرف امتناع لامتناع : إذا كانتا منفية وموجبة ، نحو : (لولا عدم قيام زيد لأحسننت إليك)⁸³ .
 وذكر ابن هشام أنها حرف لامتناع الأولى لوجود الثاني كقوله (ص) : " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم " أي : أمر إيجاب ، وإلا لانعكس معناها ، إذ الممتنع المشقة ، والموجود الأمر⁸⁴ .
 وعلى أي حال فهذا الحرف ك (لو) يفرز معاني دلالية حسب السياق ، ومراد المتكلم .
 4- لَمَّا :

تستعمل (لَمَّا) للدلالة على الربط والتعليق فيما مضى بين فعلي الشرط وجوابه ، وهي حرف عند سيبويه ، للأمر الذي وقع لوقوع غيره⁸⁵ ، وذهب ابن السراج ، وابن جني ، والفارسي إلى أنها ظرف زمان بمعنى (حين) ، وذهب ابن مالك مذهبين ، الأول : بمعنى (إذ) واستحسنه ابن هشام لأنها مختصة بالماضي ، وبالإضافة إلى الجملة . والثاني : أنها حرف وجوب لوجوب ، وقال أبو حيان : هذا الذي تلقيناه من أفواه الشيوخ ، والصحيح مذهب سيبويه⁸⁶ .

و (لَمَّا) في رأينا تشعر بالزمن ، وهي للربط بين فعل الشرط وجوابه ، فإذا قلت : (لَمَّا تَلَقَّى الْمَرِيضُ عِلاجه تحسَّن) دليل على زمانيتها ، أي : في الزمن الذي تلقى فيه المريض العلاج تحسن ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾⁸⁷ .
 5- كَلَّمَا :

وهي اسم شرط غير جازم ، مركب من (كل) و (ما) المصدرية النائية عن ظرف الزمان ، التي تدل على العموم ، وإفادتها العموم من (كل) التي هي لتأكيد العموم ، وتقيد التكرار ، فإذا كان المخاطب مثلاً يعتقد أنه إن كرر المجيء إليك مللت منه ، واستثقلته ، فتقول نفياً لذلك : كَلَّمَا جِئْتَنِي ازدَدْتُ فيك حَباً⁸⁸ . وبين سيبويه أن (كلما) ليست من أدوات الجزاء بل هي ظرفية ، و (ما) مصدرية زمانية ، والفعل بعدها صلة لها ، مثل : كلما تأتيني آتيك ، فالإتيان صلة لـ (ما) كأنه قال : كُلَّ إتيانك آتيك ، و (كلما تأتيني) يقع أيضاً على الحين⁸⁹ .

إلا أن ما ذهب إليه ابن هشام هو الرأي المرجح بكون (كلما) فيها معنى الشرط ، لأنها تحتاج إلى جملتين إحداها مرتبة على الأولى ، كقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا ﴾⁹⁰ ، وجاءتها الظرفية من جهة (ما) المصدرية الزمانية ، والجملة بعدها صلة لها ، ويكثر مجيء الماضي

⁸³ المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 597-598 .

⁸⁴ ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 359 . صحيح مسلم ، كتاب الصلاة .

⁸⁵ سيبويه . الكتاب ، ج 4 ، ص 234 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 570 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 69 .

⁸⁶ ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 241 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 570 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 594-595 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 369 .

⁸⁷ سورة الإسراء ، الآية : 67 .

⁸⁸ أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 566 . التفتازاني . شروح التلخيص ، ج 2 ، ص 35 .

⁸⁹ سيبويه . الكتاب ، ج 3 ، ص 102 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 566 .

⁹⁰ سورة البقرة ، الآية : 25 .

بعدها ، و (ما) المصدرية شرط من حيث المعنى ، ومن هنا احتيج إلى جملتين إحداهما مرتبة على الأخرى ⁹¹ . وعلى أية حال ف (كلما) من أدوات الشرط غير الجازمة التي تفيد الربط في الزمن الماضي ، وتفيد التكرار والاستمرار ، إضافة إلى التراخي في الزمن كقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ⁹² ، وهذا جلي واضح لأن إعادة جلودهم بعد اهترائها يحتاج إلى مدة زمنية ، إضافة إلى التكرار والاستمرار في الفعل .

6- أمّا:

وهي حرف شرط ، وتفصيل ، وتوكيد ، لأنها نائبة عن أداة الشرط (مهما) وفعلها ، فقولك : (أمّا زيدٌ فمنطلق) تأويل : (مهما يكن من شيءٍ فزيدٌ منطلق) ، وذهب بعضهم إلى أنها حرف إخبار مضمن معنى الشرط ، وقَدَرُوا (إن) مكان (مهما يكن) فإذا قلت : (أمّا زيدٌ فمنطلق) فأصله : إن أردت معرفة حال زيدٍ فزيدٌ منطلقٌ ، وكذلك قَدَر الرضي (إن) بدل (مهما) إلا أنه خالف في التقدير لأن التقدير عنده : إن يكن ، أي : إن يقع في الدنيا شيءٌ يقع قيام زيدٍ ⁹³ .

ودخل الفاء في جوابها دليل على أن فيها معنى الشرط ، فصارعت فاء جواب الشرط ، فقولك : إن تحسن إليّ فالله يجازيك (وأخرت الفاء لضرب من إصلاح اللفظ ⁹⁴ .

أما المعنى الثاني فهو التفصيل ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ⁹⁵ .

واختلف في إفادتها للتفصيل ، فذهب ابن مالك ، وابن يعيش ، والرضي إلى أنها للتفصيل ، وأبو حيان إلى أنها كثيراً ما تقع للتفصيل ، وقال ابن هشام : أما التفصيل فهو غالب أحوالها ، ومنع قوم مجيئها للتفصيل لأنها عندهم حرف إخبار مضمن معنى الشرط ⁹⁶ .

والمعنى الثالث التوكيد ، فقد نقل ابن هشام عن الزمخشري أنها تفيد التوكيد في الكلام ، تقول : زيدٌ ذاهبٌ ، فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهبٌ ، وأنه بصدد الذهاب ، وأن منه عزيمة ، قلت : أما زيدٌ فذاهبٌ ⁹⁷ .

الاستنتاجات والتوصيات:

إن التركيب الشرطي من التراكيب الهامة في الدرس اللغوي ، فقد ذكر اللغويون دلالات عدة لما يشير إليه مصطلح الشرط ، وقسموا أدوات الشرط إلى جازمة وغير جازمة ، وبينوا دلالاتها ومعانيها ، وخصّوها بالعموم والإبهام ، ثم بيّنوا دلالة كل أداة بحسب ما وضعت له من دلالة على المستقبل أو الماضي أو الزمان أو المكان أو غير ذلك ،

⁹¹ ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 266-267.

⁹² سورة النساء ، الآية : 56 .

⁹³ سيبويه . الكتاب ، ج 4 ، ص 235 . ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 61 . ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 245 . الأسترايازي . شرح الرضي على إل كافية ، ج 4 ، ص 466-467 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 568 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 522-523 .

⁹⁴ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 11 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 522-523 .

⁹⁵ سورة الضحى ، الآيات : 9 ، 10 ، 11 .

⁹⁶ ابن يعيش . شرح المفصل ، ج 9 ، ص 11 . ابن مالك . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ص 245 . الأسترايازي . شرح الرضي على إل كافية ، ج 4 ، ص 466 . أبو حيان . ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص 568 . المرادي . الجنى الداني في حروف المعاني ، ص 522 . ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 81 .

⁹⁷ ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص 82 .

وفرقوا بين الأدوات من حيث الدلالة فـ (إن وإذا) للاستقبال ، و (لو) للماضي مع مراعاة الفروق الدقيقة بين هذه الأدوات ، فـ (إن) للأمر غير المجزوم بوقوعه ، و (إذا) للمجزوم بوقوعه ، وقد تقع كل من الأداة (إن وإذا) موقع الأخرى لغرض بياني أو نكتة بلاغية ، لكن استعمال (إذا) مكان (إن) قليل ، والأصل في (لو) أن تدخل على الماضي ، وقد تدخل على المضارع لغرض بياني الهدف منه استمرار الفعل وقتاً فوقتاً ، وتنزيل المضارع منزلة الماضي ، وغير ذلك من الدلالات .

المراجع:

القرآن الكريم .

- 1- الأستراباذي ، رضي الدين محمد بن علي ، شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ، منشورات مؤسسة الصادق ، طهران ، جامعة قار يونس ، 1398 هـ / 1978 م .
- 2- البكري ، طرفة بن العبد ، ديوان طرفة ، شرح الأعلام الشنتمري ، تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1395 هـ / 1975 م .
- 3- التفزازاني ، سعد الدين ، شروح التلخيص ، دار السرور ، بيروت ، لبنان .
- 4- أبو حيان ، أثير الدين ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النماس ، الطبعة الأولى ، مطبعة الميداني ، المؤسسة السعودية بمصر ، توزيع مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1402 هـ / 1982 م .
- 5- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية ، 1376 هـ / 1957 م .
- 6- السامرائي ، فاضل ، معاني النحو ، ج4 ، 1423 هـ / 2003 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .
- 7- ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل ، الأصول في النحو ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، 1405 هـ / 1985 م .
- 8- السكاكي ، أبو يعقوب ، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .
- 9- السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين ، شرح أشعار الهذليين ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود محمد شاعر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1384 هـ / 1965 م .
- 10- سيبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة السادسة ، عالم الكتب ، بيروت ، مطابع دار القلم بالقاهرة ، 1385 هـ / 1966 م .
- 11- السيوطي ، جلال الدين ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تح محمد علي البجاوي ، دار الفكر العربي .
- 12- العامري ، ليبيد بن ربيعة ، شرح ديوان ليبيد ، حققه د. إحسان عباس ، منشورات وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت ، التراث العربي ، الكويت ، 1962 م .
- 13- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، ط6 ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .
- 14- محسن ، إبراهيم ، أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق ، (رسالة ماجستير) ، بإشراف د. مصطفى جطل ، 1406 هـ / 1986 م .
- 15- المرادي ، الحسن بن القاسم ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، ط2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1393 هـ / 1973 م .
- 16- ابن مالك ، جمال الدين محمد بن مالك ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1387 هـ / 1967 م .
- 17- ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، راجعه سعيد الأفغاني ، الطبعة الثالثة ، 1392 هـ / 1972 م .
- 18- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ، شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .